اللسانيات الاجتماعية ومقارباتها التداولية

الأستاذ الدكتور : أزهار علي ياسين
الأستاذ المساعد الدكتور : كفاية مذكور شلش
جامعة البصرة/ كلية الآداب

الملخص:-

لقد رافقت اللغةُ الإنسانَ منذ بداية خلقه، حتى كانت صنواً له بها يُعرف ويتعرف، وأول كلام صدر عن أبينا آدم وأُمِّنا حواء(عليهما السلام)جاء في قوله تعالى:{قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ}[1]، فاللغة جزء من الإنسان يحتاجُها في التعبير عمّا بداخله لغرض التفاهم والتواصل مع الآخرين، فاللغة هي الإنسان، والإنسان في مجتمعه ولاوجود له بدون اللغة، ولاوجود لهذه اللغة بدون مجتمع إنساني، فهي تُميّز المجتمع الذي يتواصل بها، وعلى الرغم من هذه العلاقة الوثيقة، فإنَّ ملاحظتها في مجال تطور العلوم والعنايّة بها جاء متأخراً، إلّا أنّها كانت مجال عنايّة علماء العربيّة القدماء وتجلى ذلك في مؤلفاتهم.

المقدمة:-

اتخذت اللغة في بنائها وتكويناتها مسارات تواكب متطلبات المجتمع التواصلية، فبرزت بذلك قوة العلاقة بين النظام اللغوي والنظام الاجتماعي، والدور الجوهري لكل منهما في عمليات الاتصال والتواصل.

هذا البحث فسحة علمية مبتغاها تسليط الضوء على منطقة ارتباط اللغة– بوصفها نشاطاً اجتماعياً– بقوة استعمالها استجابةً لحاجات اجتماعية لبيان مدى تفاعل السلوكين اللغوي والاجتماعي في السياق التداولي.

انبنى هذا البحث على :

- تمهيد: وهو بعنوان: اللغويات الاجتماعية من الإشكالية والتداخل الى العزلة الى الارتقاء.
- المبحث الأول: التداولية واللغويات الاجتماعية. البناء والتفاعل.
-المبحث الثاني: المعنى التواصلي والقدرة الخطابية– الاجتماعية وإجراءات السياق التداولي.

التمهيد: اللغويات الاجتماعية من الإشكالية والتداخل الى العزلة والارتقاء.

تنبّه علماء العربيّة القدماء إلى علاقة اللغة بالمجتمع، ومنهم ابن جنّي (ت392هـ) في حدّه للغة بأنّها((أصواتٌ يعبر بها كل قوم عن أغراضهم))[1] ، وهذا الحدّ عرض فيه إلى:-

أولاً: مادة اللغة الأولية وخامتها الأصلية وهي الأصوات.

ثانياً: الغرض من هذه الأصوات القدرة على التعبير بواسطتها.

ثالثا: مجال التعبير الجماعة الإنسانيّة أو القوم كما عبرَّ عنه القدماء.

رابعا: الاغراض، وهذه الأغراض راجعة لهذه الجماعة، وهنا تكمن وظيفة اللغة وتتجلى بتنوع هذه الأغراض التي تستدعيها حاجات الإنسان في مجتمعه.

لقد حدّد ابن جنّي في هذا التعريف((اتجاها علميّا أقرب إلى الواقع اللغوي... فإنّ أي متوسّم بالاهتمام بالدرس اللغوي يقف على أهميّة مقولة(ابن جنّي) في هذا المقام؛ لأنّها تدلّ على أنَّ علماء العربيّة قد لحظوا ملحظا ضروريا، وفهموا قانونا أساسيّا من قوانين حياة اللغة، ونعني به أنَّ اللغة في جوهرها شكل من أشكال السلوك الاجتماعي ذلك أنَّها لا تكون إلّا حيث يكون المجتمع، ومن ثم يمكن فهمها بوصفها ظاهرة اجتماعيّة مع ما يمكن أن يترتب على ذلك من منهج))[2] ،كاشفاً((بكلمتين اثنتين القناع عن الوجه الاجتماعي للغة، فالقوم المجتمع ،والأغراض أفكار المجتمع ومشاعره، وفحوى كلامه أنَّ اللغة ظاهرة اجتماعيّة لا ظاهرة فرديّة؛ لأنَّ الإنسان لا يستخدمها ليترجم أفكاره ومشاعره لنفسه، بل لمن حوله من بني جنسه، أي للمجتمع))[3]

كذلك أكّد ابن سيدة (ت: 458هـ)العلاقة بين اللغة والمجتمع في مقدّمة كتابه (المخصص)عندما قال:((فَإِنَّ الله عز وَجل لما كرم هَذَا النَّوْع الموسوم بالإنسان وشرفه بِمَا آتَاهُ من فَضِيلَة النُّطْق على سَائِر أَصْنَاف الْحَيَوَان وَجعل لَهُ رسماً يميزه وفضلاً يُبينهُ على جَمِيع الْأَنْوَاع فيحوزه، أحوجه إِلَى الْكَشْف عَمَّا يتَصَوَّر فِي النُّفُوس من الْمعَانِي الْقَائِمَة فِيهِ المدركة بالفكرة ففتق الْأَلْسِنَة بضروب من اللَّفْظ المحسوس ليَكُون رسماً لما تصور وهجس من ذَلِك فِي النُّفُوس فَعلمنَا بذلك أَنَّ اللُّغَة اضطرارية وَإِن كَانَت مَوْضُوعَات ألفاظها اختيارية))[4]،وهذا ما يؤكّد ارتباط

اللغة بالمجتمع والحاجة إليها عبر التواصل اللغوي، فاللغة اضطراريّة، والإنسان يصنع الفاظه باختياره[5]، فهو بحكم اجتماعيته ينتقي مع أبناء جنسه الألفاظ التي تستدعيها الحياة الاجتماعيّة في مجتمعه مما يبرهن أنَّ اللغة حاجة اجتماعيّة ،بل من المتطلبات الضروريّة للحياة الإنسانيّة.

ولعلماء العربيّة إشارات جمة إلى الطبيعة الاجتماعية لهذه اللغة، فالطريقة التي تنتقي فيها الجماعة الإنسانيّة ألفاظها، هو ما أُصطلحوا عليه بـ(الوضع)[6]ويقابل الوضع((الاستعمال أو الاصطلاح والتواطؤ...أمّا استعمال الوضع أو كيفيّة أدائه في الخطاب فهذا راجع إلى الفرد، بمعنى أنَّ اللغة ليست كالكلام...إنَّها مادة مشتركة لا يمكن نسبتها إلى شخص بعينه، ولا يمكن أن تتفاوت من جراء ذلك مكوناتها قيمة وحسناً ،في حين أنَّ الكلام منسوب دائماً إلى متكلم فرد وصادر عن قائل، وطريقة إفادته ليست نتيجة الاصطلاح، وإنّما هي رهينة المتكلم، ومتماشية مع مقاصده، وبلاغته ليست ناجمة عن أوضاع اللغة))[7]، وتنبّه العالم ابن خلدون(ت808) إلى أهم قضيّة في اكتساب اللغة، وقد سبقَ في ذلك المدارس اللغويّة المعاصرة، إذ لاحظَ أنَّ اكتساب اللغة يحصل إمّا عبر ترعرع الإنسان في بيئته وسماع لغتهم، أو بواسطة الحفظ والمران[8]،وهو بهذا((أخضع اكتساب اللغة وحصول الملكة اللغويّة وبقائها في المجتمع الناطق بها جيلا بعد جيل، وجودتها أو فسادها إلى جملة من المؤثرات))[9] بقوله:((اعلم أنَّ اللّغات كلّها ملكات شبيهة بالصّناعة إذ هي ملكات في اللّسان للعبارة عن المعاني وجودتها وقصورها بحسب تمام الملكة أو نقصانها، وليس ذلك بالنّظر إلى المفردات وإنّما هو بالنّظر إلى التّراكيب، فإذا حصلت الملكة التّامّة في تركيب الألفاظ المفردة للتّعبير بها عن المعاني المقصودة ومراعاة التّأليف الّذي يطبّق الكلام على مقتضى الحال بلغة المتكلّم...والملكات لا تحصل إلّا بتكرار الأفعال؛ لأنَّ الفعل يقع أوّلا وتعود منه للذّات صفة ثمّ تتكرّر فتكون حالا، ومعنى الحال أنّها صفة غير راسخة ثمّ يزيد التّكرار فتكون ملكة أي صفة راسخة، فالمتكلم من العرب حين كانت ملكته اللّغة العربيّة موجودة فيهم يسمع كلام أهل جيله وأساليبهم في مخاطباتهم وكيفيّة تعبيرهم عن مقاصدهم كما يسمع الصّبيّ استعمال المفردات في معانيها فيلقّنها أوّلا ثمّ يسمع التّراكيب بعدها فيلقّنها كذلك، ثمّ لا يزال سماعهم لذلك يتجدّد في كلّ لحظة ومن كلّ متكلّم واستعماله يتكرّر إلى أن يصير ذلك ملكة وصفة راسخة ويكون كأحدهم، هكذا تصيّرت الألسن واللّغات من جيل إلى جيل وتعلّمها العجم والأطفال، وهذا هو معنى ما تقوله العامّة من أنَّ اللّغة للعرب بالطّبع أي بالملكة الأولى الّتي أخذت عنهم ولم يأخذوها عن غيرهم، ثمّ أنّه لما فسدت هذه الملكة لمضر بمخالطتهم الأعاجم وسبب فسادها أنَّ النّاشئ من الجيل صار يسمع في العبارة عن المقاصد كيفيّات أخرى غير الكيفيّات الّتي كانت للعرب فيعبّر بها عن مقصوده لكثرة المخالطين للعرب من غيرهم ويسمع كيفيّات العرب أيضا فاختلط عليه الأمر وأخذ من هذه وهذه فاستحدث ملكة وكانت ناقصة عن الأولى))[10]، وقد حدّد د. هادي نهر أبعاد الصلة الجدليّة بين المجتمع واللغة التي استخلصها ابن خلدون في نظرته إلى اللغة، بستة أبعاد، هي:[11]

أ- اللغة ملكة صناعية، ومعنى ذلك أنَّ اللغة صفة راسخة تكتسب بها النفس البشرية العادات والتقاليد والصناعات وكل مظاهر الاجتماع الانساني التي تحيط بها.

ب-اللغة تعتمد على المسموع، أثبت ابن خلدون أن الملكة اللغوية إنما تعيّن وتُكتسب بمفاعيل المعاشرة والمخالطة والممارسة فالإنسان يتكلم لغته الأصيلة بسماع الآخرين.

ج- اللغة فعل تكراري، بمعنى أنَّ هذه الملكة إنما تستقر وتثبت بالعادة وتكرار الفعل.

د- إعادة الأفعال تمنح خصائص جديدة، وكذلك فإنّ تنوع روافد الاختلاط والمعاشرة قد يفسد الملكة، ويوجهها توجيها جديدا ناقصا عن الملكة الأولى .

هـ-أنّ الملكة التامّة لا تحصل بالنظر إلى المفردات بل الى التراكيب، بمعنى أنَّ معرفة النظام اللغوي المعين هي التي تحدد إمكانية معرفة الإنسان لتلك اللغة وتمكنه منها، ومن الواضح أنَّ أهم خاصيّة من خصائص اللغة هو نظامها؛ لأنّه يحكم سلوك الأفراد الذين يستخدمون اللغة، فاللغة تقوم على أساس نوع من العقد القائم بين أبناء الجماعة، والفرد في حاجة إلى تعلمها وتوظيفها في نشاطه الاجتماعي، ولا يمكن للإنسان أن يتعلم اللغة بتعلّم مفرداتها فقط، من دون تعلم ما يمثلها تمثيلا صحيحا أي تعلم النظام، سواء كان نظاما لأصواتها أم لصرفها أم لنحوها.

و- اكتساب اللغة يبدأ بالمفردات، فالطفل يكتسب اللغة بالتدريج مبتدأً من المفردات ودلالاتها، فالتراكيب وأحكامها.

وهكذا أثبت أبن خلدون أسس ومعايير اللغة المكتسبة في المجتمع بغايّة الدقة والملاحظة وأشار لما يفسدها بسبب اختلاطها.

اتخذت دراسة علم اللغة في عصر الإنجازات وتطور العلوم جانباً وصفياً يقترب من الواقعية الاستعمالية، وصار يُدرَس على وفق متطلبات المنهج العلمي اللغوي الاجتماعي، فكان علم اللغة الاجتماعي أو اللسانيّات الاجتماعية أحد فروع علم اللغة، وسبق أن لُقيَّ علم اللغة وعلم الاجتماع حظهما من النمو والتطور في بداية القرن العشرين، ولكنهما سارا في عزلة متفرقين من جانب البحث والدراسة، وبقيت المنطقة المشتركة بينهما- قوة العلاقة بين اللغة والمجتمع- في حيّز الإهمال والتجاهل من جانبين:[12]((أحدهما: جانب علماء الاجتماع، ويتمثل في التقدير المبكر جدّا لدور اللغة الجوهريّ في المجتمع، فقد نظر علماء الاجتماع إلى اللغة بوصفها شرطاً جوهريّا لقيام أيّ جماعة إنسانيّة، ولكنهم اعتقدوا أنَّها لم تكن ناتجة عن اختلاف في السلوك الاجتماعي، أو بعبارة أخرى لم يهتموا بالعلاقة بين التنوع الاجتماعيّ والتنوع اللغويّ، ومن ثم أهملوا دراستها. والآخر: من جانب علماء اللغة، ويتمثل بثنائية دي سوسير اللغة والكلام؛ ولأنَّ اللغة قد عُرفت بحسب– دي سوسير- بأنّها نظام قواعد كامنة في عقل كلّ شخص؛ فقد توجهت الدراسة إليها، واصبح الكلام الفردي في المواقف الاجتماعيّة التفاعلية لا يحظى بالدراسة))[13]وإن كان الغربيون أنفسهم((لم يبرعوا في هذه الدراسات إلّا من أمدٍ قريب، فإنَّ علماء العرب تركوا لنا في هذا المضمار تراثاً قيّما يدلّ على سبقهم من ناحية، وعلى سعة أفقهم في الدراسات اللغويّة من ناحية أخرى))[14].غير أنَّ هذه العزلة أخذت تنحسر في فترة متأخرة[15]عندما وعى علماء الاجتماع من الغربيين أنَّ((اللغة نشاط اجتماعي، من حيث أنَّها استجابة ضروريّة لحاجة الاتصال بين الناس جميعا؛ ولهذا السبب يتصل علم اللغة اتصالاً شديدا بالعلوم الاجتماعيّة، وأصبحت بعض بحوثه تُدرس في علم الاجتماع، فنشأ لذلك فرع منه يسمى (علم الاجتماع اللغوي) يحاول الكشف عن العلاقة بين اللغة والحياة الاجتماعيّة وبين أثر تلك الحياة الاجتماعيّة في الظواهر اللغويّة المختلفة))[16].ومثلّت هذه المرحلة مرحلة ارتقاء علم اللغة الاجتماعي، وقد تنبّه علماء اللغة إلى بحوث علم الاجتماع اللغوي والدراسات التي تقوم بها المدرسة الاجتماعيّة الفرنسيّة التي أنشأها

دور كايم في أوائل القرن العشرين،[17]، واتجهت الرؤى والانظار بعد ذلك إلى التفاعل بين السلوك اللغوي والسلوك الاجتماعي، مما قاد ذلك إلى ظهور مجال آخر يشتغل بمنطقة ارتباط اللغة ورصدِها في سياقها الاجتماعي تمثّل هذا المجال باللسانيات الاجتماعية[18]، وذكر هدسون أنَّ الاهتمام الأول بهذا العلم في الولايات المتحدة جاء من أناس مثل–رجال التعليم- فطُبق بصورة عمليّة عن طريق دراسة أساليب كلام الجماعات السكانيّة الدُنيا[19]، وظهر نتاج هذا العلم عند قيام المؤتمر الأول لعلم اللغة الاجتماعي في جامعة كاليفورنيا عندما قدم لابوف تجربته في المجال العملي حول الاستعمال اللغوي للطبقات في مدينة نيويورك، فظهر علم اللغة الاجتماعي بهذه التسمية رغم وجود منطلقات واهتمامات علميّة شديدة التباين.[20]

المبحث الأول: التداولية واللغويات الاجتماعية / البناء والتفاعل.

لاحظ المؤرخون على الصعيد العالمي أنَّ اللغة حاملة لاتجاه تواصلي– براجماتي لذا وجهوا اهتماماتهم الى اللغة بوصفها نظاما تواصليا، مما يعني أنَّهم تجاوزوا الاهتمام بالخاصية (التركيبية الدلالية) التي مثلت النظام الداخلي للغة إلى وظيفة اللغة في بنية التواصل[21]، ونتيجة لهذا التطور والانتقال لعلم اللغة إلى مجال تواصلي أكثر تعقيدا نشأ فرع هذا العلم الذي يُعرف بعلم اللغة الاجتماعي[22]، وصار مجال علم اللغة أكثر سعة ،فإنّ بروز اللسانيّات الاجتماعيّة((جاء حركة متممة ومصححة للسانيات البنيوية والتوليدية إذ سعت إلى تجاوز تقييدها لمجال علم اللغة في النظام اللغويّ عبر مفهوم أوسع لعلم اللغة، فوجهت النظر إلى المحددات الاجتماعية للغة ،وإلى الأسس الاجتماعية للغة وتأثيرها في المجتمع، وفي النهاية إلى العلاقة بين اللغة والمجتمع))[23]، ونتيجة لهذه الانتقالة لعلم اللغة بظهور اللسانيات الاجتماعية أصبحت اللغة مهتمة بالسياقات الاجتماعية التي تُكتسب بها اللغة ومن ثم تُستخدم لأغراض التواصل،((إنّ مهمة علم اللغة العام حسب هذا الرأي الشائع، هي اكتشاف وتحديد قواعد أية لغة حتى يستطيع علماء علم اللغة الاجتماعي بعد ذلك أن يدرسوا نقاط هذه القواعد بالمجتمع كما يحدث عندما يكون هناك عدد من بدائل التعبير اللغوي التي تستخدمها المجموعات الاجتماعية المختلفة للتعبير عن شيء واحد))[24].

ووفقاً لرؤيّة دقيقة نادى بها(جون فيرث) مؤسس مدرسة لندن وأتباعه السياقية في ضوء علاقة اللغة بسياقها الاجتماعي[25] يتضح بأنَّ((للكلام وظيفة اجتماعيّة باعتباره وسيلة للاتصال وطريقة لتميز المجموعات الاجتماعية المختلفة، كما أنَّ دراسة الكلام دون الرجوع إلى المجتمع الذي يتحدث به هو استبعاد لاحتمالات وجود تفسيرات اجتماعية للأبنية والصيغ المستخدمة في الكلام))[26]، يُفهم من ذلك أنَّ مهمّة علم اللغة الاجتماعي تنحصر بدراسة نتاجات علم اللغة العام في المجتمع ؛لأنَّ اللغة مُكتسبة من المجتمع، ولا جدوى من تفسير أبنيتها وتراكيبها بعيدا عن مجال تطبيقها ووظائفها إلّا بوجودها في عينة مجتمعية، من هذا المنطلق رأى هدسون:((أنَّ تجاهل علم اللغة للمجتمع يعد شيئا خطيرا بالنسبة لعلم اللغة في حدِّ ذاته...))[27]، مع تأكيده أهمية إدراك السياق الاجتماعي في دراسة الموضوع اللغوي[28].

وهذه الرؤية التي تبناها هدسون جاءت من ملاحظته للعلاقة القديمة والمتأصلة بين اللغة والمجتمع، لكن لا يمكن اعتبار علم اللغة الاجتماعي بديلاً لعلم اللغة؛ باعتبار الأسبقيّة لعلم اللغة في مجال الدراسة والبحث المُعاصِرَين ، ومن ناحيّة علمائه فلا يمكن إغفال ما قدموه من جهود نيرة في مجال علم اللغة[29].

المبحث الثاني: المعنى التواصلي والقدرة الخطابية– الاجتماعية وإجراءات السياق التداولي.

ثمة مقاربات وتداخلات بين التداولية واللسانيات الاجتماعية، فاذا كانت اللسانيات الاجتماعية حسب تعريف هدسون لها تعني:((دراسة اللغة في علاقتها بالمجتمع))[30]، اي دراسة اللغة من جهة تأثير المجتمع وسلوكياته على اللغة، فاللغة لا تكتمل ولا تستقيم فهماً وتواصلاً خارج دائرة المجتمع الذي تنبت فيه [31]، لذا تهتم بدراسة الازدواجية اللغوية والتعدد اللغوي ومنظومة اللهجات والتخطيط والتنمية اللغوية ودراسة طرائق الكلام وأساليبه عند مستعملي اللغة [32] ، فإنّ التداولية مفهوما تُعنى بـ((دراسة اللغة في الاستعمال))[33] لذا تهتم بدراسة اللغة في علاقتها بالسياق المرجعي لعملية التخاطب فضلا عن اهتمامها بالأفراد الداخلين في عملية التواصل، واذا كانت((الوظائف التداولية واستراتيجيات التواصل اللغوي ظاهرة خطابية بامتياز من حيث أنَّه يعسر تأويل قصد المتكلم دون تحديد السياق العام الذي ورد فيه، وهو ما يؤلف مع الجزء الظاهر من الخطاب(الجملة مثلا) نصا متكاملا))[34] ، فإنَّ فكرة المقام أو السياق تعتبر المركز الذي تدور حوله التداولية وتنبني عليه اللسانيات الاجتماعية[35] ، حيث ترتكز القاعدة التواصلية على السياق التواصلي في كل منهما[36].

وفي ضوء عملية التواصل نجد الدرس اللغوي التداولي يدرس المنجز اللغوي في ما ((يصطلح عليه بالتفاهم اللغوي- فبواسطتها يؤولون وضعية ما ويتفاوضون عليها بهدف الوصول من خلال استثمار المعتقدات المشتركة إلى توافق يفضي إلى تنسيق المصالح المشتركة والانخراط في مشروعات جماعية تعود بالنفع العام على الجميع))[37] ، وهذا واقع حال في اللسانيات الاجتماعية إذ إنَّ الكلام يُنجز في سياقات اجتماعية تواصلية وليس بمعزل عنها، مما يعني كل هذا أنَّ السياق في عملية تحليل الخطاب التداولي والاجتماعي هو ((الشيء الخارج عن المتحاورين والثابت في الطبيعة، مؤطراً النشاط التواصلي، فهو يشكل المكان والزمان الذي يحدث فيه ذلك النشاط)) [38] ،وهذا السياق المشترك يحدد سيرورة العمل التخاطبي، ويرتكز على عدة عناصر، حيث ((يعد العنصر الشخصي من أهم عناصر السياق ويمثله طرفا الخطاب: المتكلم والمخاطب، وما بينهما من علاقة، بالإضافة إلى مكان التلفظ وزمانه، وما فيه من شخوص وأشياء وما يحيط بهما من عوامل حياتية: اجتماعية أو سياسية أو ثقافية، وأثر التبادل الخطابي في أطراف الخطاب الأخرى))[40]

ومن سمات الاتجاه التواصلي ((رصد خصائص بنية اللغة الطبيعية وربطها بوظيفتها في التواصل ، والتوصل إلى أن قدرة طرفي الخطاب التواصلية تكمن في معرفة القواعد العامة التي تمكنها من تحقيق أهداف التواصل وتأويل الخطاب ، ومنها القواعد اللغوية في مستوياتها التركيبية والدلالية والصوتية . وتتميز الدراسات اللغوية التي تتخذ التواصل إطارا عامّا لها بأنها دراسات لسانية مرنة ، فهي تصف وتفسر استعمالات المرسل المتنوعة ،بل وعدوله عن بعض المعايير الثابتة في مستويات اللغة ليجعل خطابه مناسبا للسياق الذي يتلفظ فيه))[39].

إنَّ من المشتركات بين التداولية واللسانيات الاجتماعية أنَّ كل منهما يجعل النص منفتحا غير منغلق أو منحسر في بنية شكلية معزولة عن سياقها، فضلا عن ذلك الاشتراك في تقنيات التواصل الأخرى التي تتكور خارج المعطيات اللغوية مثل الإيماء والاشارة وملابسات لغة الجسد [40]

وتشارك التداولية اللسانيات الاجتماعية في ابراز أكبر للعلاقات الاجتماعية بين المشاركين في موضوع الكلام ؛لما في ذلك من تأثير في انتاج العبارات اللغوية من جهة وتأويلها من جهة أخرى ([41]).

لقد انبنت كل من التداولية واللسانيات الاجتماعية رؤيتهما على قضية الانتاج اللغوي التي تتمنهج على وفق نظرية معرفية قوامها: أنَّ كل أداء لغوي يتمركز حول فعل كلامي حامل لمقاصد تتوجه حسب مراد المتكلم وقصديته وظروف الكلام وطبقاته المقامية [(42)].

كما تتداخل التداولية مع اللغويات الاجتماعية في بيان أثر العلاقات الاجتماعية في عملية انتاج الكلام للمشاركين في مجموعة كلامية متقاربة أو متشابهة، خاصة فيما يخص مؤثرات السياق الاجتماعي . الثقافي في ذلك، حيث يركز كل منهما على اجابة التساؤل الآتي : لماذا نتكلم بشكل مختلف عندما تختلف السياقات الاجتماعية؟ ليكون تركيز الانتباه على سياقات استعمال اللغة وعلى مستعملي هذه اللغة بدلا من التركيز على قواعد اللغة المقننة والتنظير النحوي فيها [(43)]

وهكذا تلتقي التداولية وتتداخل منطقة اشتغالها مع اللسانيات الاجتماعية، فكل منهما ((لا يتم حصول عملية الإفهام والفهم في السياق إلا بالاتكاء على معرفة السياق وفقا لهذا المنهج الذي يتيح للمرسل التلفظ بخطابه بتوظيف كل هذه المستويات))[(44)]

ونجد أنّ علاقة معرفة السياق أو المقام بحصول عملية الفهم لها استعمالاتها في تراث النحو العربي ، فقد ورد في كتاب سيبويه(ت180هـ) في تفسيره للمحذوف من الكلام في قوله:((وذلك أنك رأيت صورة شخص فصار آية لك على معرفة الشخص فقلت: عبد الله وربي، كأنك قلت: ذاك عبد الله، أو هذا عبد الله، أو سمعت صوتا فعرفت صاحب الصوت فصار آية لك على معرفته فقلت: زيد وربي، أو مسستَ جسدا أو شممتَ ريحا فقلت: زيد والمسك...)) [(45)] وورد كذلك عند المبرّد(ت286هـ) في قوله:((فمن ذلك أن ترى جماعة يتوقعون الهلال، فقال قائل منهم : الهلال والله، أي هذا الهلال)) [(46)]، فالملفوظات الواردة في النصين تحتمل أكثر من تأويل والمقام أو السياق الثقافي . الاجتماعي وحده قادر على طرد تلك الاحتمالات وإثبات مقصدية المتكلم، وهذا ما تعول عليه اللسانيات التداولية وكذلك اللسانيات الاجتماعية في علاقتهما بالسياق التواصلي المرجعي في عملية التخاطب عند الأفراد الذين يتواصلون خارج العلاقات المنطقية النحوية في كلامهم، صفوة القول: أنَّ كل منهما يدرس علاقة النشاط اللغوي بمستعمليه وكيفية استعمال العلاقات اللغوية المنفتحة في السياقات والمقامات المختلفة التي تهمين على تشكل مسارات التخاطب، ولأنَّ اللغة ذات مسار ابلاغي وطابع تواصلي فالنظام اللغوي في أي مجتمع محكوم بطريقة التخاطب القائمة على المحاكاة والاكتساب.

وهكذا تكون العلاقة بين اللسانيات التداولية واللسانيات الاجتماعية علاقة قائمة على الجذب والتجاذب، مع ابقاء مسافة معينة بينهما، فالتداولية تنتمي الى اللسانيات الاجتماعية انتماء الجزء الى الكل أو الفرع الى الأصل.

الخاتمة

تمخضت عن هذا البحث بعض الملاحظات والنتائج التي هي بمثابة ثمرة هذا الجهد العلمي، وهي:ـ

- أنّ دراسة اللغة في علاقتها بالمجتمع ليست جديدة العهد وإنّما لها جذور عميقة في تراثنا العربي، ووضع أسس هذه الدراسة العالم ابن خلدون مع ملاحظات من سبقه من العلماء.
- أنّ اللسانيات الاجتماعية بهذه التسميّة والاصطلاح جديدة العهد، وظهرت نتيجة تطور الدراسات في البحث اللسانيّ المعاصر، وإدراكاً من الدارسين لضرورة ربط اللغة بالمجتمع ، فهو علم له استقلاليته، وعدّه الدارسون فرعاً من فروع علم اللغة العام أو اللسانيات اللغوية.
- المساحة الفاصلة بين التداولية واللسانيات الاجتماعية تكاد تتلاشى بين العلمين ، فالأول يدرس اللغة عبر استعمالاتها الاجتماعية، والثاني يدرس اللغة في المجتمع ، مستفيداً من قدرة اللغة في فهم المجتمع .
- تبيّن أنَّ للمجتمع تأثيراً في اللغة، وتغير استعمالاتها انما يكون تبعاً للجماعات اللغويّة المُستعملة فيها اللغة فضلاً عن العادات الكلامية التي تمارسها هذه الجماعة، وهذا مما يكشف عن العلاقة بين اللغة والحياة الاجتماعية وأثر تلك الحياة الاجتماعيّة في الظواهر اللغويّة المختلفة، ومثلّت هذه المرحلة مرحلة ارتقاء علم اللسانيات الاجتماعية.
- ثمة مقاربات وتداخلات بين التداولية واللسانيات الاجتماعية، فاذا كانت اللسانيات الاجتماعية تُعنى بدراسة اللغة من جهة تأثير المجتمع وسلوكياته على اللغة، فاللغة لا تكتمل ولا تستقيم فهماً وتواصلاً خارج دائرة المجتمع الذي تنبت فيه، فإنّ التداولية مفهوما تُعنى بدراسة اللغة في استعمالاتها، لذا تهتم بدراسة اللغة في علاقتها بالسياق المرجعي لعملية التخاطب فضلا عن اهتمامها بالأفراد الداخلين في عملية التواصل.
- إنَّ فكرة المقام أو السياق تعدّ المركز الذي تدور حوله التداولية وتنبني عليه اللسانيات الاجتماعية، حيث ترتكز القاعدة التواصلية على السياق التواصلي في كل منهما، مما يعني كل هذا أنَّ السياق في عملية تحليل الخطاب التداولي والاجتماعي هو الذي يؤطر النشاط التواصلي في كل منهما ،وهذا السياق المشترك يحدد سيرورة العمل التخاطبي فيهما.
- الاشتراك في تقنيات التواصل الأخرى التي تتكور خارج المعطيات اللغوية مثل الإيماء والاشارة وملابسات لغة الجسد.
- وتشارك التداولية اللسانيات الاجتماعية في ابراز أكبر للعلاقات الاجتماعية بين المشاركين في موضوع الكلام ؛لما في ذلك من تأثير في انتاج العبارات اللغوية من جهة وتأويلها من جهة أخرى.
- لقد انبنت كل من التداولية واللسانيات الاجتماعية رؤيتهما على قضية الانتاج اللغوي التي تتمنهج على وفق نظرية معرفية قوامها: أنَّ كل أداء لغوي يتمركز حول فعل كلامي حامل لمقاصد تتوجه حسب مراد المتكلم وقصديته وظروف الكلام وطبقاته المقامية.

- كما تتداخل التداولية مع اللغويات الاجتماعية في بيان أثر العلاقات الاجتماعية في عملية انتاج الكلام للمشاركين في مجموعة كلامية متقاربة أو متشابهة، خاصة فيما يخص مؤثرات السياق الاجتماعي . الثقافي في ذلك، حيث يركز كل منهما على اجابة التساؤل الآتي : لماذا نتكلم بشكل مختلف عندما تختلف السياقات الاجتماعية؟ ليكون تركيز الانتباه على سياقات استعمال اللغة وعلى مستعملي هذه اللغة بدلا من التركيز على قواعد اللغة المقننة والتنظير النحوي فيها.
- وتلتقي التداولية وتتداخل في منطقة اشتغالها مع اللسانيات الاجتماعية، فكل منهما لا تتم عملية الإفهام والفهم في السياق إلا بالاتكاء على معرفة السياق التواصلي.
- وهكذا تكون العلاقة بين اللسانيات التداولية واللسانيات الاجتماعية علاقة قائمة على الجذب والتجاذب، مع ابقاء مسافة معينة بينهما، فالتداولية تنتمي الى اللسانيات الاجتماعية انتماء الجزء الى الكل أو الفرع للأصل

---

[1] ـ الخصائص ، ابن جني : 1/ 33

[2] ـ اللسانيات الاجتماعية عند العرب ، الدكتور هادي نهر لعيبي : 48

[3] ـ في علم اللغة ، الدكتور غازي مختار طليمات : 22

ـ المخصص،ابن سيده :[4]33/1

[5] ـ ينظر: اللسانيات الاجتماعية عند العرب: 53

ـ المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي : 1/ 37[6]

[7] ـ اللسانيات الاجتماعية عند العرب : 55 ـ 56

[8] ـ ينظر: الاكتساب اللغوي عند ابن خلدون،(بحث) طارق ثابت، جامعة الشهيد محمد العربي بن مهيري- ام البواقي، الجزائر، اكتوبر تشرين الاول 2012: 5

[9] ـ اللسانيات الاجتماعية عند العرب : 57

ـ تاريخ ابن خلدون : 764، 765.[10]

ـ اللسانيات الاجتماعية عند العرب:58، 59 * وأشار د. هادي نهر إلى أن ابن خلدون يسمي اللغة الفصحى باسم (لسان [11] العرب)، أو(لغة مضر)، وأمّا العامية فيعبر عنها بـ(لغة الامصار) أو (لغة الجيل).ينظر: المصدر نفسه

[12] ـ ينظر : اللسانيات الاجتماعية في الدراسات العربية الحديثة ،التلقي والتمثلات :الدكتور حسن كزار : 28

[13] ـ المصدر نفسه

[14] ـالمصدر نفسه : 22

[15] ـ ينظر: المصدر نفسه: 29

[16]ـ المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ، الدكتور رمضان عبد التواب : 125

[17]ـ ينظر : المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي: 126

[18]ـ ينظر : اللسانيات الاجتماعية في الدراسات العربية الحديثة: 29

[19] ـ ينظر: علم اللغة الاجتماعي، هدسون ، ترجمة محمود عياد: 14 .

[20]ـ ينظر : تطور علم اللغة منذ 1970م ، جوهارد هلبش : 356.

[21]ـ ينظر: تطور علم اللغة : 25

[22]ـ ينظر: المصدر نفسه: 26

[23]ـ اللسانيات الاجتماعية في الدراسات العربية الحديثة : 30-31 .

[24]ـ علم اللغة الاجتماعي : 12

[25]ـ ينظر : اللسانيات الاجتماعية في الدراسات العربية الحديثة: 33

[26]ـ علم اللغة الاجتماعي : 15-16.

[27]ـ المصدر نفسه : 16

[28]ـ ينظر: نفسه: 17

[29]ـ المصدر نفسه : 16 .

[30]ـ المصدر نفسه :17.

[31] ـ ينظر : المصدر نفسه : 17

[32]ـ ينظر: من النظرية اللسانية الى تنظير الواقع، ليلى المسعودي: 6 ومابعدها

[33] ـمبادئ في اللسانيات خولة طالب الابراهيمي: 185

[34]ـ الوظائف التداولية واستراتيجيات التواصل اللغوي في نظرية النحو الوظيفي ، يوسف تغزاوي: 182

[35]ـ ينظر : اللغة العربية معناها ومبناها : 337،و التداولية في الدراسات النحوية :268

[36]ـ ينظر : التداوليات علم استعمال اللغة ، تنظيم حافظ اسماعيلي : 469

[37]ـ التداوليات علم استعمال اللغة : 425

[38]ـ تحليل الخطاب (مجلة فصول)العدد :97 خريف 2016 :صفحة231

[39]ـ استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، عبد الهادي بن ظافر الشهري : 10-11

ـ ينظر: دليل النقد الأدبي، ميجان الزويلي وسعد البازي:169، واللسانيات الاجتماعية : 16[40]

ينظر: من النظرية اللسانية الى تنظير الواقع، ليلى المسعودي: 5-6 ،وقضايا اللغة العربية في اللسانيات [41] ـ الوظيفية، د. أحمد المتوكل: 26- 27

-ينظر: اللسانيات الاجتماعية اليوم : قضايا ومناهج، هشام يسك(بحث)، المجلة التونسية للعلوم الاجتماعية ، س 26، ع [42] 72 : 97

-ينظر: البحث نفسه [43]

[44] -استراتيجيات الخطاب :23

[45] -الكتاب ،سيبويه 2/ 130

[46] -المقتضب ، المبرّد : 4/ 129

المصادر

1- القران الكريم
2- استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، عبد الهادي بن ظافر الشهري ، دار الكتاب الجديد المتحدة ،ط1، 2004م .
3- الاكتساب اللغوي عند ابن خلدون،(بحث) طارق ثابت، جامعة الشهيد محمد العربي بن مهيري- ام البواقي، الجزائر، اكتوبر تشرين الاول 2012.
4- تاريخ ابن خلدون (ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر)،ابن خلدون، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت ، ط2 ، 1408 هـ - 1988 م .
5- تطور علم اللغة منذ 1970م ، جوهارد هلبش ، ترجمة سعيد حسن بحيري ، مكتبة زهرة الشرق
6- التداوليات علم استعمال اللغة ، تنظيم حافظ اسماعيلي علوي ، عالم الكتب الحديث / الاردن ، ط1، 2011م .
7- التداولية في الدراسات النحوية ، عبد الله جاد الكريم ، مكتبة الاداب / القاهرة ، ط1، 2014م .
8- تحليل الخطاب (مجلة فصول)العدد :97 خريف 2016 .
9- الخصائص ، ابن جني ، عالم الكتب _ بيروت ، تحقيق : محمد علي
10- دليل النقد الأدبي، ميجان الزويلي وسعد البازي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء /المغرب : ط3 2000م .
11- علم اللغة الاجتماعي، هدسون ، ترجمة محمود عياد ، عالم الكتب /القاهرة ، ط2، 1990م.
12- في علم اللغة ، الدكتورغازي مختار طليمات ، دار طلاس /دمشق ، ط2، 2000م.
13- كتاب سيبويه ، تحقيق :عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي/ القاهرة ، ط4، 2004م .
14- اللسانيات الاجتماعية اليوم : قضايا ومناهج، هشام يسك(بحث)، المحلة التونسية للعلوم الاجتماعية ، س 26، ع 97
15- اللسانيات الاجتماعية عند العرب ، د. هادي نهر لعيبي، عالم الكتاب الحديث ،ط1.

16- اللسانيات الاجتماعية في الدراسات العربية الحديثة ،التلقي والتمثلات ، الدكتور حسن كزار ،بيروت / لبنان ،ط1، 2018.
17- اللغة العربية معناها ومبناها ، الدكتور تمام حسان ، دار الثقافة ، 2001م .
18- المخصص، ابن سيده ، تحقيق: خليل إبراهم جفال: دار إحياء التراث العربي– بيروت ط1، 1417هـ 1996م.
19- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1998 .
20- المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ، الدكتور رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي /القاهرة، ط2 1985.
21- من النظرية اللسانية الى تنظير الواقع، ليلى المسعودي ، من بحوث الملتقي الدولي للسانيات ، تونس ،د.ط.ت.
22- مبادئ في اللسانيات خولة طالب الابراهيمي ، دار القصبة للنشر/ الجزائر ، ط2 2006م .
23- المقتضب ، أبو العباس المبرّد ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ، لجنة إحياء التراث الاسلامي / القاهرة ، 1494م.
24- الوظائف التداولية واستراتيجيات التواصل اللغوي في نظرية النحو الوظيفي ، يوسف تغزاوي: عالم الكتب الحديث /الاردن، ط1، 2014.
25- الوظيفة في كتاب سيبويه ، رجاء عجيل الحسناوي ، مكتبة العلامة ابن فهد الحلي /كربلاء، ط1، 2015م .